

حول دراسة تاريخ الفئات الهامشية والتابعة في المجال الحضري التونسي زمن الاستعمار  
الفرنسي: مقارنة في المفاهيم ومناهج البحث

**A Study of the history of marginal groups and their  
subordinates during the time of French colonialism: an  
approach to concepts and research methods**

د. عبد العزيز بن عبد النبي<sup>1</sup>

جامعة صفاقس، تونس

البريد الإلكتروني: aziz.abdennabi1979@gmail.com

تاريخ القبول: 2022/01/28

تاريخ الاستلام: 2021/11/09

**ملخص:**

يتناول موضوع البحث إلى مسألة التجديد في حقول البحث التاريخي ومناهجه بالانتقال من دراسة التاريخ العام إلى البحوث التاريخية المهتمة بدراسة الفئات الدنيا والتابعة. فقد ساهمت بعض الكتابات السوسولوجية والأنثروبولوجية الصادرة أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين والمهتمة بالفئات الهامشية في المجتمعات الغربية في محاولة إبراز هذه الشرائح المقصية، إلا أنها لم تؤسس لمقاربة اجتماعية أو تاريخية خاصة بواقع المهمشين. وتعتبر بحوث مؤرخي مدرسة الحوليات منطلقاً لتأسيس مناهج ومقاربات جديدة للكتابة التاريخية ورصيداً مهما للباحثين لكتابة تاريخ المجتمعات من وجهة نظر جديدة تنطلق من القاعدة الشعبية والشرائح العدمية والهامشية. وقد عرفت هذه المقاربات التاريخية تطوراً مهماً مع مؤرخي تيار دراسة التابع والتاريخ المجهري بتركيزها على إعادة المنسيين في التاريخ على غرار المرشدين والمحتاجين والمتسولين إلى الذاكرة والبحث في

<sup>1</sup> المؤلف المرسل: د. عبد العزيز بن عبد النبي: aziz.abdennabi1979@gmail.com

خفايا عالمها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي والفكري ثم التطرق إلى دور المجال الحضري المدني في إبراز هذه الفئات الاجتماعية بمختلف مكوناتها باعتبارها الفضاء الأهم المستقطب لها.

**الكلمات الدالة:** الشرائح الهامشية، الفئات التابعة، المقاربة المجهرية، المجال الحضري، التاريخ الجديد.

### **Abstract:**

The topic of research addresses the question of revivalism in the fields and methodologies of historical research and its methods by moving from the study of general history to historical research interested in studying the lower and subordinate groups. Some sociological and anthropological writings issued in the late nineteenth and early twentieth centuries that specialised in depicting marginal groups in western societies contributed to an attempt to highlight these excluded segments of society, but they did not establish a social or historical approach specific to the reality of these marginalised entities. The research of historians of the Annales School is considered a starting point for establishing new curricula as well as new approaches to historical writing and an important asset for researchers to write the history of societies from a new point of view that stems from the popular base and the nihilistic and marginal segments. These historical approaches have undergone an important development with the historians of both fronts: those handling the study of the subordinates and those handling the study of the micro-history, with a focus on the forgotten ones in history such as the homeless, the needy and beggars and bringing them back to memory. These approaches while researching the secrets of its social, economic, political, cultural and intellectual angle, then addressing the role of the urban side in highlighting these social groups with its various components as its most important polarizing space.

**Keywords:** Marginal segments, Subordinates, Microscopic approach, Urban space, New history.

## 1. مقدمة:

اتخذت الكتابات التاريخية المعاصرة من الظواهر الاجتماعية مبحثا جديدا للخروج بالتاريخ من طابعه التقليدي المهتم بدراسة القضايا العامة والكبرى ذات المنحى الوطني والسياسي والأيدولوجي وبتدوين تاريخ الملوك والسياسيين والحروب، إلى البحث في مسألة الهويات الصغرى في إطار اندثارها وذوبانها داخل قضايا كبرى متشعبة ويؤسس للكتابات التاريخية التي تهتم بما هو جهوي ومحلي والتميزة بجزئية الإشكاليات المطروحة وبخصوصيتها سواء أكان من حيث الزمان والمكان أم من حيث الأشخاص والأحداث وصولا بها إلى مجال التخصيص والتركيز على المقاربات المجهرية "الميكرو- تاريخ" من خلال إثراء البحوث التاريخية ومحاولة الإجابة على التساؤلات الجانبية المتممة للتاريخ التقليدي وذلك بإعادة المنسيين والمغيبيين في التاريخ إلى الذاكرة الجماعية. وقد أصبح التاريخ أكثر انفتاحا على مختلف العلوم وخاصة علوم الاقتصاد والإحصاء وعلم الإثنوغرافيا وعلم النفس وعلم الاجتماع، فتكثفت مادته ومناهجه ومجالات دراساته لتشمل الظواهر الاجتماعية وفئات المجتمع وشرائحه المختلفة مدعما مصادره بما خلفته الذاكرة الشعبية والجماعية من مآثر مكتوبة وشفوية وبالصورة والرسم والأدب والفقهاء والتعايير الطقسية المكتوبة وغير المكتوبة، لتشكل الوثائق الأرشيفية الصادرة عن مختلف المؤسسات المركزية (أرشيفات المحاكم والسجون والبلديات الكبرى والأوقاف والدفاتر العدلية وملفات الشيوخ ومراسلات القياد والتقارير الأمنية والجمعيات

الخيرية والمستشفيات...) المصدر الأساسي والمركزي لكتابة التاريخ الاجتماعي وتاريخ المهمشين والفئات التابعة.

ويمكن دراسة الفئات الهامشية والتابعة في الكتابة التاريخية انطلاقا من الظواهر الاجتماعية العامة التي تنقسم بدورها إلى ظواهر أكثر جزئية وخصوصية أو من خلال التركيز على إبراز الشرائح والفئات المكونة لها والفاعلة فيها ودراستها كفئات منسجمة وذوات فاعلة تناسبها بعض الكتابات التاريخية. كما بينت المقاربات السوسولوجية والأنثروبولوجية في دراستها لعلاقة الظواهر الاجتماعية الهامشية بالمجال الحضري المدني، تميز المدينة بخصوصيات اجتماعية واقتصادية وثقافية جعلت منها فضاء خصبا لنشوء ظواهر الإجرام والفقر والتسول والحاضن الرئيسي لهذه الفئات الاجتماعية الدنيا ومنطلقا لبروز ثقافة التابع والدون والتهميش الاجتماعي.

## 2. الإطار المفهومي للفئات الهامشية والتابعة و"الدون":

أبرزت المتغيرات السياسية والاقتصادية والثقافية المتلاحقة تحولات اجتماعية عميقة داخل المجتمعات الأوروبية تظهرت أساسا في تعيير النسيج المجتمعي التقليدي واستفحال ظواهر اجتماعية عديدة مثل الفقر والانحراف والدعارة والاحتياج والتسول والسرقة، ميزت شرائح مجتمعية عرفت بالشرائح الهامشية والفئات التابعة. وقد أثرت هذه التحولات الاجتماعية في مختلف المناهج والرؤى الفكرية والتصورات الاجتماعية المهمة بالمكونات المجتمعية، حيث اتخذ الباحثون وعلماء الاجتماع والمؤرخون من هذه الشرائح الاجتماعية والظروف ذات الصلة ببروزها، مجالاً للدراسة والبحث ضمن دراسات سوسولوجية وأنثروبولوجية وقانونية وتاريخية. وقد أثارت دراسة ظاهرة التهميش والشرائح الهامشية لدى المؤرخين إشكالية الجانب المفهومي والتعريفية لها في جانبها اللغوي والإجرائي زمانا ومكانا باعتبارها ظاهرة متحولة وفي تجانس مع التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التي أفرزها الحضور

الاستعماري، كما أنها تضم في مضمونها العام مفاهيم متعددة<sup>1</sup> لظواهر اجتماعية مختلفة مثل التسول والدعارة والتشرد والسرقة.. فبالعودة إلى التعريف الاصطلاحي لعبارة الهامشية المشتقة من فعل "همش" ويعني العَضُّ غير الصحيح ويقال للناس إذا أكثروا بمكان فأقبلوا وأدبروا واختلطوا والهَمْشُ هو كثرة الكلام والخطل في غير صواب<sup>2</sup> وهو ما يجعل هذا المعنى يتوافق ومعنى "همج" وهي صفة تقال لردالة الناس والرعاغ من الناس والهمل الذين لا نظام لهم<sup>3</sup> والهمج هو المتروك<sup>4</sup>، أما بالنسبة للدلالة الفرنسية فمصطلح هامش يعني *Marge* والمخاذي *Bord* أي الموجود على الحدود الخارجية، والمهمش هو الشخص المرفوض والمقصى والمتموقع على أطراف المجموعة أو خارجها<sup>5</sup>. كما أورد القانون الجزائري الفرنسي ما بعد ثورة 1789 في بنده 270 تعريفا للمهمشين وهم "المشردون أو الناس الذين لا هوية لهم، أولئك الذين لا يمتلكون مسكنا، بعضهم دون أدوات عيش ولا يمارسون عادة لا حرفة ولا مهنة"<sup>6</sup>.

أما بالنسبة إلى الفئات التابعة فيعرف الشخص التابع بأنه الخادم والمهمل والمغيب<sup>7</sup> والخاضع للسيطرة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وللتوجيه الثقافي والفكري. وتتفق الفئات التابعة في مفهومها العام مع تعريف الشرائح الهامشية ومع ثقافة الدون باعتبارها تمثل تعريفا لإحدى الطبقات الشعبية والفئات الاجتماعية الدنيا. ويعود ظهور هذا التعريف في المقاربات التاريخية المعاصرة إلى بداية ثمانينات القرن 20 إثر تأسيس تيار دراسة التابع بزعامة المؤرخ الهندي *Ranjit Guha* الذي تطلع إلى مقارنة في كتابة التاريخ من الأسفل مناهضة للتقاليد التاريخية الماركسية الأنكليزية حيث يقول في إحدى ندواته العلمية: "إننا نعارض بالفعل قدرا كبيرا من الممارسة الأكاديمية السائدة في التأريخ... لفشلها في الاعتراف بالتابع كصانع لمصيره. هذا الانتقاد يكمن في صميم مشروعنا"<sup>8</sup>.

أما "الدون" فيعرف لغويا بأنه نقيض فوق. والدون هو الشخص الحقيير الخسيس<sup>9</sup>. وهو مصطلح تعرف به الفئات الوضيعة اجتماعيا واقتصاديا، المتجانسة ثقافيا وفكريا في داخلها والمتميزة بالاختلاف عن بقية المكونات المجتمعية. وتنقسم هذه المجموعات الدونية بين الفئات العدمية الخاضعة تماما للواقع المعيش وأخرى متمردة رافضة للقيم الأخلاقية والضوابط الاجتماعية<sup>10</sup>. هذا المفهوم يحمل أساسا دلالات ثقافية تعكس تميز هذه الفئات الاجتماعية بثقافة فرعية تجعلها في شبه عزلة وعاجزة عن الاندماج في الحياة المجتمعية ومتخذة من السكن العشوائي والطرق مسكنا ومن بعض الممارسات مثل التسول والسرقة والنهب مصدرا للكسب والاستزاق. "ثقافة تتكون داخل مجموعة من الأشخاص المكونة لوحدة اجتماعية شبه معزولة عن الآخرين ولها موقعها وخصوصياتها الاجتماعية والتي تعتبر أحيانا عدائية ومرفوضة"<sup>11</sup>. فهي ثقافة مغايرة تختلف في تفاصيلها ومفاهيمها عن الثقافة المجتمعية السائدة، ثقافة دفيئة ومضادة وعكسية للأعراف والتقاليد وتعارض المسار القيمي للمجتمع.

إن الاستنتاج العام لمختلف مفاهيم الهامشية والتابع والدون يدل على وجود اتفاق تام على ارتباط هذه الصفات بالشرائح والفئات الاجتماعية التي اتخذت موقعا تابعا ودونيا وهامشيا في أطراف الحياة المجتمعية في مختلف أبعادها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية وفي سياق زمني ومكاني مختلف ومحدد في الآن نفسه، تحاكي في مفهومها الغربية الداخلية والمجتمعية والنفسية سواء أكانت هذه الغربية بشكل اختياري اعتباطي أم فرضت عليها من قبل أطراف فاعلة وقوية. وهي صفات أطلقت أيضا على المزارعين والفلاحين الفقراء والبسطاء وعلى الأدباء والشعراء رواد المقاهي زمن الاستعمار الفرنسي (مقهى تحت السور في تونس)، كما أنها تطلق على المنحرفين والمشردين والمتسولين والمحتاجين، وهو ما

يحيلنا إلى أن هذه العبارات والمصطلحات تحمل العديد من التأويلات والقراءات والمفاهيم وذلك باختلاف الجوانب المجالية والظواهرية، فأغلب الدراسات تعاطت مع مفهوم الهامشية والتابع والدون للدلالة على بعض الشرائح الاجتماعية المنقسمة بين فئات منظمة ومتجانسة فكريا وثقافيا وأخرى فوضوية واعتباطية في إطار عالم مواز<sup>12</sup> للمنظومة المجتمعية السائدة وضمن نسيج من العلاقات التي يصعب اقتحامها، حيث يعرف ثروت إسحاق هذه الفئات بأنها: "مجموعات من الناس عاشت ظروفًا اقتصادية واجتماعية وسياسية غير مواتية فأثرت في وجودهم وحددت أدوارهم داخل المجتمع الذي صاروا يعيشون على هامشه"<sup>13</sup>.

### 3. الفئات التابعة والهامشية في المقاربات التاريخية المعاصرة:

كان لمؤرخي ومؤسسي مجلة الحوليات Les Annales سنة 1929 وعلى رأسهم مارك بلوخ، الدور الأساسي في بروز الدراسات المهمة بتاريخ الشرائح الاجتماعية والهامشية ضمن الدراسات الأنثروبولوجية والتاريخية. وقد اعتمد باحثوها آليات ومناهج بحثية جديدة تقطع مع التاريخ الحديث والتاريخ السردى ورفض الحتميات الجاهزة للمباحث التاريخية وتؤسس للانفتاح على بقية العلوم الاقتصادية والإنسانية والاجتماعية والتعاون الوثيق معها خدمة للبحث التاريخي. فتميزت بحوث مؤرخي الحوليات بتنوع مواضيعها ومفردات اهتمامها موزعة بين الظواهر المناخية والاجتماعية والديمقراطية والتاريخية والعقليات والذهنيات والعادات والأخلاق وتحولاتها.

ومثلت التحولات الناتجة عن الحرب العالمية الثانية سببا رئيسيا في حدوث منعرج هام في التصورات والرؤى المعرفية والبحثية، فبرزت مناهج جديدة في البحوث الأنثروبولوجية والتاريخية لدراسة مختلف الظواهر والشرائح الاجتماعية والأنساق المجتمعية في أوروبا ضمن سياق إشكالي نقدي يعتمد الفهم الدقيق للموضوع وتوظيفاً لعلم الاجتماع خدمة للبحث التاريخي

ودفاعا عنه وهي آلية أكدها منذ ثلاثينات القرن 20 المؤرخ مارك بلوخ في كتابه الصادر سنة 1949 بعنوان *Apologie pour l'histoire*<sup>14</sup>. وتعتبر بداية الستينات مرحلة التحدي في البحوث التاريخية الاجتماعية، فقد اتخذ المؤرخون توجهها جديدا يقوم على تحويل حقل التاريخ الاجتماعي إلى منهج تاريخي يتضمن مجموعة من آليات البحث<sup>15</sup>، ثم العمل على تفكيكه، باعتباره حقلًا يتميز بالشمولية والانفتاح على جميع المجالات العلمية والاجتماعية والإنسانية والثقافية ذات الصلة بالبحوث التاريخية، إلى وحدات مونوغرافية ومبثنية منفردة ومخصصة لدراسات تفصيلية ومتعددة الجوانب لمسائل ومواضيع وظواهر اجتماعية محددة وضيقة النطاق بما يساهم في إتمام كتابة تاريخية شاملة<sup>16</sup>، على أنه من متطلبات الباحث في التاريخ الاجتماعي تطوير آليات البحث التاريخي يجعلها محل نقد وتساؤل وبالعمل على مزيد التعمق في دراسة المجتمعات وخصوصا الشرائح الهامشية والفئات التابعة ثم الكشف عن أسباب ومظاهر التهميش الاجتماعي. وقد اعتمد الباحثون البريطانيون اليساريون الماركسيون في جامعتي أكسفورد وكمبريدج هذا التوجه البحثي بالتركيز على دراسة الطبقات العمالية والشرائح الاجتماعية الفقيرة والهامشية انطلاقا من خصائصها الاجتماعية ومميزاتها الثقافية<sup>17</sup>، فعلى سبيل الذكر نجد كتاب *Richard Hoggard* بعنوان *La culture du pauvre* ومؤلف الباحث *Edward Palmer* بعنوان *Thompson* *La Formation de la classe ouvrière* *Anglaise*.

وتدعم هذا التوجه البحثي في تاريخ الشرائح الهامشية منذ بداية خمسينات القرن 20 بظهور مقاربات تاريخ الفئات التابعة *Les Classes Subalternes* مع المؤرخ الهندي



A Rule of Ranjit Guha الذي نشرت أولى بحوثه سنة 1963 تحت عنوان property for Bengal، انتقد فيها كتابات مؤرخي النخبة الأنكليزية في دراستها للتاريخ الهندي التي أفصت كل الأدوار لهذه الفئات الاجتماعية في التغيير الاجتماعي والسياسي ومقتصرة على إبراز دور النخبة المثقفة في تطوير الوعي السياسي والنضالي لدى الشعب الهندي في مواجهة الاستعمار البريطاني، وكاشفا الدور الأساسي للبطء وغير المثقفين والهامشيين والدون في عملية التغيير السياسي والاجتماعي<sup>18</sup>. وفي مطلع الثمانينات أسس المؤرخ الهندي Ranjit Guha تيارا تاريخيا جديدا أطلق عليه اسم "دراسة التابع-Subaltern Studies" بمعية مجموعة من الباحثين الهنديين ( Shahid Amin, David Arnold, Gautam Bhadra, Dipesh Chakrabarty, و ذلك ( David Hardiman, Gyanendra Pandey, Sumit Sarkar إثر صدور مؤلفات ومقالات جماعية ثم نشر كتابه "القوانين المبدئية لتمرد الفلاحين في الهند تحت الحكم الكولونيالي"<sup>19</sup>. وقد راهنت هذه المقاربة التاريخية على كتابة التاريخ من وجهة نظر جديدة في مخالفة صريحة لوجهة نظر النخبة المثقفة، كتابة تنطلق من الأسفل ومن القاعدة الشعبية الهامشية وتركز في قراءتها التاريخية على إيصال أصوات الفئات التابعة المهمشة وإبراز فعلها في إحداث التغيير الاجتماعي والسياسي.

لقد تأثر الباحثون الغربيون بالبحوث الاجتماعية والاقتصادية التي عرفتها المجتمعات الأوروبية وخصوصا إثر أحداث شهر ماي 1968 في فرنسا أو ما عرفت بثورة الشباب التي شهدت مشاركة فعالة من مختلف الفئات الهامشية، لصوصا وعاطلين عن العمل ومشردين ومتسولين،.. جعل البعض من النقاد والمفكرين يتحدثون عن أزمة حضارية<sup>20</sup>. ومن تبعات

هذه الأحداث حصول تحول في نظرة الباحثين والمؤرخين في التعاطي العلمي والمعرفي مع قضايا المجتمعات بالعمل على دراسة مختلف الشرائح المجتمعية سواء منها العليا أو العمالية أو الهامشية في إطار مقاربات نظرية تعكس واقع البناء المجتمعي والتأسيس لكتابة تاريخ جديد في تكامل وتفاعل بين الأنثروبولوجيا والتاريخ. كما ساهمت في ترسيخ فكرة مزيد التعمق في دراسة الشرائح المجتمعية الهامشية لدى الباحثين والمؤرخين والتركيز على البحث في تاريخ المنسيين والمنبوذين والمقصيين في التاريخ وإعادتهم إلى الذاكرة الجماعية، وذلك في تكامل بين مختلف الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والذهنية.

أفضت هذه النظرة الجديدة في المقاربات التاريخية المهمة بالشرائح الهامشية والفئات التابعة إلى بروز حقل جديد في الكتابة التاريخية بداية من سبعينات القرن 20 في المدرستين التاريخيتين الإيطالية والألمانية وهو "التاريخ المجهرى". وقد عرف باسم تيار "الميكروستوريا / Microstoria / Micro-Histoire" في المدرسة التاريخية الإيطالية، حيث ركز مؤرخوه على إعادة دراسة التاريخ وكتابة المعرفة التاريخية من أسفل المجتمع من خلال الاهتمام بالفئات الشعبية والهامشية خلال الفترة الحديثة في إطار عينات محددة زمانا ومكانا. ومن أهم رواده وباحثيه المؤرخ Giovanni Levi الذي تزعم الجانب الاجتماعي في الميكروستوريا والمؤرخين Carlo Ginzburg et Carlo Poni اللذين أبرزوا الجانب الثقافي. أما المدرسة التاريخية الألمانية فقد أطلقت عليه تسمية تيار "التاريخ اليومي أو التاريخ المعتاد- Alltagsgeschichte"، ويعتبر المؤرخين الألمان Hans Medick و Alf Ludtke المؤسسين لهذا التيار التاريخي الجديد اللذين ركزا من خلاله على الحقلين الثقافي والاجتماعي والعمل على الربط بين التاريخ والأنثروبولوجيا والتفاعل بينهما في دراسة المعرفة

التاريخية، واهتما أساسا بدراسة الحركة المجتمعية للناس العاديين والحياة اليومية للمغيبين والمنسيين والمقصيين في الكتابات الرسمية. وبذلك انتقلت فيه كتابات المؤرخين من التاريخ الشامل الكلاسيكي إلى المباحث المفردة والمخصصة لدراسة التجربة المعيشية لصغار الناس وبسطائهم.

وقد اتفق مؤرخو التيار المجهري والتاريخ اليومي وهم جيل جديد من الباحثين اليساريين، على كتابة تاريخ جديد ينطلق من قراءة نقدية ذاتية للدراسات التاريخية التقليدية داعين إلى الخروج من دائرة تاريخ الطبقات الاجتماعية والهياكل العائلية والرمزية والتركيز على هامش حرية الفرد ودوره في الفعل التاريخي انطلاقا من إطاره المكاني الضيق مثل القرية والحى والورشة،.. ثم محاولة التعمق في دراسة الفئات الشعبية والهامشية، ثقافيا واجتماعيا في ترابط بين الحقلين الاجتماعي والثقافي. فهو توجه تاريخي يقوم على تصغير السلم لفهم الجزئيات والتدقيق في الأحداث ويؤمن رواده أن التاريخ يكتب من الأسفل انطلاقا من القاعدة المجتمعية الشعبية والهامشية وفي هذا الصدد يقول المؤرخ الهندي جاك بوشباداس: "كُتبت التاريخ من الأسفل، من أعماق الحشود الشعبية، من غرائز الناس وبينت كيف يتصرف قادتهم"<sup>21</sup>.

ورغم تعدد البحوث والدراسات ضمن المقاربة المجهرية، تظل الدراستين اللتين أنجزهما المؤرخ الايطالي كارلو فينيسبورغ تملان البداية الحقيقية لتشكيل المقاربة التاريخية المجهرية. الأولى بعنوان Le Formage et les Vers الصادرة سنة 1976<sup>22</sup> والتي تناول فيها خصائص حياة أحد عمال الطحونة، والثانية المقال الصادر سنة 1979 بالتعاون مع المؤرخ كارلو بوني تحت عنوان "La micro-histoire"<sup>23</sup>.

إن هذه القواسم المشتركة بين التيارين التاريخيين وترابطهما داخل المقاربة المجهرية لا يعني بالضرورة نغيا لبعض التمايز بينهما، فيورد الأستاذ الهادي التيمومي قوله: "إن هذا القاسم المشترك بين أنصار التيارين التاريخيين لا يعني أنهم ينتمون إلى مدرسة فكرية وفلسفية واحدة. فهم ينسبون أنفسهم إلى عدة نظريات ومدارس مثل الأنثروبولوجيا التاريخية والبنوية والتاريخ الشفوي"<sup>24</sup>. ونجد أيضا اختلافا في مواضيع البحث وكيفية تناولها بالدرس والتحقيق وتنوعا في المنطلقات المفاهيمية والنظرية، إضافة إلى أن المؤرخين الايطاليين خصصوا بحوثهم في التاريخ الحديث في حين أن دراسات المؤرخين الألمان ركزت على التاريخ المعاصر.

ومن مميزات الباحثين والمؤرخين الألمان عن نظرائهم الايطاليين اهتمامهم الأكبر على استحضار المغيبين والمقصيين من الكتابات الرسمية باعتبارهم من الفئات الشعبية البسيطة والمهمشة، وإخضاعهم للدراسة الدقيقة بالتركيز على خصوصيات حياتهم اليومية والكشف عن روابط التواصل بينهم وعن شبكة العلاقات التي تنظم حياتهم اليومية من مختلف جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والذهنية والسلوكية اليومية سواء أكانت في سياق دراسة الفرد أو الجماعة.

وقد عرفت الكتابات والبحوث التاريخية التونسية والعربية عموما أثرا بهذه المقاربة المجهرية منذ بداية التسعينات ومناهج البحث التاريخي الجديدة، مستفيدة من المواضيع والظواهر الاجتماعية المطروحة للدرس والتحليل والتي أثارها المعطيات المصدرية والأرشيفية والذاكرة الجماعية، فبرزت مؤلفات وبحوث أكاديمية تناولت بالدرس والبحث التاريخي ظواهر التهميش الاجتماعي والاقتصادي والاستعماري في تونس خلال الفترتين الحديثة والمعاصرة ومظاهر الفساد الاجتماعي ذات العلاقة بهذه الشرائح الهامشية والفئات التابعة من مختلف جوانبها

الثقافية والاجتماعية والاقتصادية مثل إدمان الخمر<sup>25</sup> والشاي والمخدرات والتكروري<sup>26</sup> والسجون والمنافي<sup>27</sup> والدعارة<sup>28</sup> والتسول<sup>29</sup> والسرقه والصلوصية<sup>30</sup> مبرزة الأدوار المتعددة للفئات المغيبة والمقصية والمسكوت عنها رسميا<sup>31</sup>.

#### 4. الفئات التابعة والهامشية والمجال الحضري:

مثل المجال الحضري المدني مبحثا مهما بالنسبة للدراسات التاريخية والسوسيولوجية والأنثروبولوجية باعتباره فضاء غني بالتفاعلات الاجتماعية والثقافية وحاضن لمختلف الظواهر الاجتماعية الناتجة عن التناقضات الاجتماعية والاقتصادية والهيكلية التي أفرزتها الحياة الحضرية المدنية، وقد اعتبرت هذه الكتابات المدن والحواضر الكبرى منذ العصور القديمة مرورا بالفترتين الوسيطة والحديثة ووصولاً إلى الفترة المعاصرة، سواء في العالم الغربي والأوروبي أو في العالم العربي، المعامل الرئيسية للهامشية ومنطلقاً لبروز وتشكل الفئات التابعة، مرتكزة في بحثها على الحفريات والمدونات المصدرية وأرشيفات المحاكم الشرعية والكنائس والمستشفيات وسجلات الهيئات والجمعيات الخيرية<sup>32</sup>.

وتعرف الحاضرة بأنها خلاف للبادية وهي المدن والقرى وسميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار... والحاضر والمقيم في المدن والقرى... والحاضرة الإقامة في الحضر<sup>33</sup>، وقد حدد ابن خلدون مفهوم الحاضرة انطلاقاً من تحديده لعدد المفاهيم "الملك" و"الحكم" و"الدولة" و"ال عمران البشري" وملكونات مركزية لتأسيس المدن والحواضر: "إن الملك والدولة غاية للعصبية وإن الحضارة غاية للبداءة وإن العمران كله، من بداءة، وحضارة، وملك وسوقة، له عمر محسوس.. فلتعلم أن الحضارة في العمران أيضا كذلك لأنه غاية لا مزيد وراءها وذلك أن الترف والنعمة إذا حصل لأهل العمران دعاهم بطبعه إلى مذاهب الحضارة والتخلق بعوائدها"<sup>34</sup> وبالتالي فإن الحضارة هي الإطار الجامع

لكل العوامل والمظاهر الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتعليمية والثقافية والدينية في تكامل وتفاعل مع ديناميكية العنصر البشري باعتباره المحرك والفاعل الأساسي في مسألة نشأة المدن والحواضر وتطورها.

حظيت الظاهرة الحضرية بمكانة مهمة في المقاربات السوسولوجية مقارنة بباقي المقاربات الاجتماعية والإنسانية، حيث دفعت التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والثقافية في الدول الأوروبية والغربية خلال القرنين 18 و 19- والتي كانت المدينة مسرحا لها ومركزا لنتائجها- المفكرين المؤسسين لعلم الاجتماع، كارل ماركس وإيميل دوركايم وماكس فيبر والمنظرين الأوائل لمدرسة شيكاغو، إلى الاشتغال على دراسة وتحليل الظاهرة الحضرية استنادا على مفاهيم نظرية وفرضيات سوسولوجية تمت صياغتها في محاولة لفهم النتائج المترتبة عن تلك التحولات الكبرى إبان الثورات المتعاقبة في أوروبا منذ القرن 18- سياسيا وفكريا وصناعيا- والتي أفرزت تضخما في المدن وارتفاعا في نسب الهجرة وتغيرا في أنماط الحياة الحضرية والعلاقات الاجتماعية وبرزت ظواهر اجتماعية جديدة وثقافات فرعية هامشية تميز روادها بسلوكيات الجنوح والانحراف والتفكك الأسري والإقصاء الاجتماعي. دفعت هذه المتغيرات الاجتماعية الباحثين الاجتماعيين وتحديدًا رواد مدرسة شيكاغو إلى الاهتمام بدراسة التفاعل بين المجموعات الهامشية والفضاء المدني والترابط الفعلي بين الظواهر الهامشية والإجرامية والمجال الحضري<sup>35</sup> وفق منظور جديد ينطلق من التراث السوسولوجي الحضري في مقارنته للظاهرة الحضرية، ومبتكرين في الآن نفسه مقاربات جديدة وأدوات وتقنيات ومناهج أثرت البحث السوسولوجي في دراسة هذه الظاهرة. علما وأن مؤسسي هذا التوجه البحثي السوسولوجي قد أضفوا شرعية علمية على العمل الميداني الواقعي معتبرين أن البحث العلمي

ينطلق من الواقع ومن التجربة الحياتية اليومية في المجال الحضري الذي يعتبر فضاء جامعا للمعطيات والوقائع والأحداث والظواهر الاجتماعية والهامشية المجتمعية.

وتتميز مدرسة شيكاغو -وهو تيار فكري سوسيولوجي، ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية منذ بداية القرن العشرين في قسم علم الاجتماع بجامعة شيكاغو- بكثافة إنتاجها البحثي والعلمي أهمها كتابات رائدها الأول Robert Park<sup>36</sup> التي خصصها لدراسة الظواهر الحضرية المختلفة مثل الهجرة وتعدد الأجناس والأقليات في المجتمع الأمريكي والصراعات الإثنية والمجالات السكنية الفقيرة والغنية والفقير والاحتياج والتشرد والتسول ومناطق تركيز الجنوح والدعارة والجريمة، وقد تطرق Robert Park إلى هذه الظواهر الاجتماعية بالتحليل والفهم وفق منظور ايكولوجي ينطلق في تفسيره لها من التفاعل الحاصل بين المجال الحضري بكل ما يزرع به من خصوصيات وأنماط وقيم وثقافات وبين الإنسان وما يمتلكه من مواقف وتمثلات معتبرا بذلك أن الفضاء المديني يمثل مختبرا اجتماعيا لتحليل ودراسة الظواهر الحضرية وفهمها.

أما بالنسبة إلى دراسة الظاهرة الحضرية في المجال التونسي على المستويين الماكرو سوسيولوجي والتاريخي فنلاحظ أن تشكل الظاهرة الحضرية ونشوءها لم يكن مصادفة بل هي حقيقة تاريخية فرضتها شروط التوسع الاستيطاني الاستعماري وتزايد النمو الديمغرافي، علما وأن ظاهرة التحضر تاريخية في المجتمع التونسي وغير مقتزنة بحدوث الاستعمار الفرنسي. وبالتالي فإن مختلف الإشكالات التي أضحت تعاني منها المدن التونسية في الفترة المعاصرة هي بالأساس نتاج للتواجد الاستعماري وللانعكاسات السلبية لسياساته الاجتماعية والاقتصادية. وقد أخذت مظاهر التهميش والإقصاء وبروز ثقافة الدون نسقا تصاعديا منذ

خضوع البلاد التونسية للاستعمار الفرنسي المباشر سنة 1881 الذي فرض نمطا اقتصاديا وسياسيا وثقافيا جديدا كان له الأثر السلبي على الوضع الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع التونسي التقليدي، فقد تتالت موجات النزوح نحو المدن الكبرى التي أصبحت تعاني تزايدا كبيرا في أعداد المجموعات الهامشية المتمركزين على أطرافها<sup>37</sup> والتميزة بثقافة حياتية جديدة وغريبة عن الواقع الاجتماعي والاقتصادي الحضري التونسي. وعرفت الحواضر الكبرى- ولو بشكل متفاوت ونسبي بين الحواضر- تطورا كبيرا وانفجارا ديمغرافيا نتيجة تزايد عدد السكان الوافدين والنازحين ليعبر بذلك التهميش عن نفسه مجاليا بانتشار مدن الصفيح والأكواخ والسكن العشوائي والهامشي حول المدن الكبرى وداخل مجالاتها العمرانية الحضرية بصنفيها العربي والأوروبي<sup>38</sup>. فقد سكنت العائلات الريفية المنازل القديمة المتداعية داخل روض باب سوقة وباب الجديد بمدينة تونس العربية<sup>39</sup> وروض "القوابسية" بمدينة صفاقس الذي سمي نسبة إلى أصول متساكنيه<sup>40</sup>، ثم برزت التجمعات السكنية الفقيرة أو ما يعرف بالأحياء القصديرية والأكواخ Gourbis ville - Bidonville<sup>41</sup> على غرار حي السيدة المنوبية<sup>42</sup>، الملاسين، بورجل<sup>43</sup>، الجبل الأحمر<sup>44</sup>. واتسع نطاق هذه الأحياء إثر نهاية الحرب العالمية الثانية حيث لم يسلم أي تجمع سكني من ظاهرة نزوح البدو والريفيين، لتكون الحاضرة تونس المجال الأبرز للهامشية و"الحاضر الأكبر" للمهمشين والفئات التابعة. وقد بينت أغلب البحوث والدراسات التاريخية اعتمادا على الرصيد الأرشيفي الخاص بالوضع العام الاقتصادي والاجتماعي للبلاد التونسية، أن ثلاثينات القرن 20 تعتبر فترة الذروة في تفاقم واستفحال ظاهرة التهميش والهامشية. كما تحولت المستشفيات الكبرى من مجرد مراكز استشفائية لبعض



المشوهين والمجانين إلى ملجأ ومأوى دائم للمشردين والمسؤولين من جهة ومكانا لتنفيذ عقوبة السجن أو العزل الصادرة عن السلطة الاستعمارية من جهة أخرى ضد العديد منهم<sup>45</sup>.

## 5. خاتمة:

شكلت ظاهرة الهامشيون والفئات التابعة والدون مبحثا في غاية الأهمية بالنسبة لحقول الكتابة التاريخية المعاصرة طارحة مفاهيم جديدة متنوعة الدلالات والتأويلات والقراءات لظاهرة اجتماعية قديمة متجددة تعددت فيها الأصناف والتشكيلات مثل الاحتياج والتشرد والسرقة والتسول،.. ما دفع أغلب البحوث والدراسات إلى التعاطي مع هذه المفاهيم للدلالة على ما اعتبرته عالما موازيا لشرائح وفئات مجتمعية دون تحديد فئة بعينها، تعيش خارج السياق المجتمعي السائد أو على أطرافه وتحاكي في مفهومها الغربية المجتمعية والنفسية المفروضة خارجيا أو بشكل اختياري وضمن منظومة من العلاقات الاجتماعية والثقافية صعبة الاقتحام.

ويتنزل اهتمام المقاربات التاريخية المعاصرة بدراسة الفئات الهامشية والتابعة والدون في إطار توجه عام خصصه المؤرخون والأنثروبولوجيون لدراسة الطبقات الشعبية والشرائح الاجتماعية الفقيرة والمقصيين والمنسيين في المجتمع الأوروبي والغربي. ومثلت بحوث مؤرخي مدرسة الحوليات سنة 1929 الانطلاقة الأولى في تأسيس هذا التاريخ الجديد، تلتها مقاربات تاريخ الفئات التابعة أواخر خمسينات القرن 20 مع ثلة من الباحثين والمؤرخين الهنديين وصولا إلى بداية السبعينات التي تعتبر الفترة الأهم لبروز هذه الدراسات الأنثروبولوجية والتاريخية من خلال ظهور حقل جديد في الكتابة التاريخية "التاريخ المجهري" تميزت به المدرستين التاريخيتين الإيطالية والألمانية. وقد اعتمد رواد هذه المقاربة المجهرية مسارا جديدا في كتابة التاريخ ينطلق من دراسة القاعدة المجتمعية الشعبية والهامشية ويركز على استحضار الناس العاديين والمغيبيين

والمقvisيين من الكتابات التاريخية الرسمية وإبراز دورهم في إحداث التغيرات الاجتماعية والسياسية. أما بالنسبة إلى العلاقة بين الفئات الهامشية والتابعة والمجال الحضري المدني فقد بينت المقاربات السوسولوجية والأنثروبولوجية وجود علاقة تفاعل وتكامل واعتبار المدينة الحاضرة - في مفهومها العام وفي مختلف الفترات الزمنية- المعقل الرئيسي لهذه الشرائح الاجتماعية والطبقات الدنيا، والفضاء الحاضن لتشكيلها وبروزها. وهو ما ينطبق بشكل تام على الحواضر التونسية الكبرى زمن الاستعمار الفرنسي التي عاشت حالة تبعية وتأثر بالتحويلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والحضرية التي أحدثها الاحتلال الفرنسي. وقد كان للمقاربات السوسولوجية سبق في دراسة وتحليل الظاهرة الحضرية التي عرفت بروزا منذ بداية القرن 20 مع ظهور مدرسة علم الاجتماع بجامعة شيكاغو التي مثلت محطة تاريخية في مجال الاهتمام السوسولوجي بالظاهرة الحضرية وبالظواهر الاجتماعية الهامشية والإجرامية داخل الفضاء المدني.

## 6. قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

- ابن منظور، لسان العرب، قدم له الشيخ عبد الله العلابي، الجزء 6، بيروت 1988.
- أبي الحسن أحمد بن فارس، بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هاروت، الجزء 6، مكتبة الخانجي، القاهرة 1979.
- المنجي، بن محمد، مظاهر الفساد الاجتماعي زمن الحماية الفرنسية، إدمان الخمر نموذجاً، بحث لنيل شهادة الدراسات المعمقة في التاريخ المعاصر تحت إشراف الأستاذ حسين رؤوف حمزة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، السنة الجامعية 2004 - 2005.
- الهادي، التيمومي، المدارس التاريخية الحديثة، دار التنوير للنشر، بيروت، دار محمد علي الحامي للنشر، صفاقس، الطبعة الأولى، 2013.

- بلقاسم، بن عبد النبي، **السرقة واللصوصية بالبلاد التونسية في الفترة الاستعمارية 1881 - 1956**، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاس، فيفري 2016.
- جان كلود، شميث، "تاريخ الهامشيين"، **التاريخ الجديد**، ترجمة وتقديم محمد الطاهر المنصوري، مراجعة عبد الحميد هنية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2007.
- عبد الرحمان، ابن خلدون، **المقدمة**، بيروت، 1992.
- عبد الستار، السحباي، **التحولات الاجتماعية وإشكالية هوامش الفعل للمجتمع الموازي**، أطروحة دكتوراه دولة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، السنة الجامعية 2003 - 2004.
- عبد العزيز، بن عبد النبي، **التسول والمتسولون في الحواضر التونسية الكبرى زمن الاستعمار الفرنسي 1881 - 1956**، مكتبة علاء الدين، صفاس، تونس، 2020.
- عبد الله، العروي، **مفهوم التاريخ، الألفاظ والمذاهب، المفاهيم والأصول**، المركز الثقافي العربي، الطبعة الرابعة، الدار البيضاء، 2005.
- وجيه، كوثراني، **تاريخ التأريخ، اتجاهات - مدارس - مناهج**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الثانية، بيروت، 2013.
- المقالات باللغة العربية:
- إسحاق، ثروت، "أبعاد الهامشية: حالة مصر"، **جدل**، عدد 4، دار كتعان للدراسات والنشر، دمشق، 1993.
- بلقاسم، بن عبد النبي، "الدعارة في تونس قبيل وأثناء الفترة الاستعمارية 1830 - 1939 دراسة مقارنة مع الجزائر ومصر"، **دورية كان التاريخية**، عدد 47، مارس 2020.
- بلقاسم، بن عبد النبي، "الكيف في البلاد التونسية قبل وأثناء الفترة الاستعمارية: دراسة تاريخية وأنتروبولوجية"، **مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية**، عدد 31، مركز جيل البحث العلمي، ماي 2017.
- عبد الواحد، المكني، "ملاحظات ووثائق حول النفي والمنافي والمنفيين في البلاد التونسية في القرن التاسع عشر"، **المجلة التاريخية المغربية**، عدد 85 - 86، ماي 1997.
- المراجع باللغة الأجنبية:
- Becker, Howard Saul, *Outsiders. Études de sociologie de la déviance*, Métailié, Paris, 1985.

- Bloch, Marc, *Apologie pour l'histoire ou métier d'historien*, librairie Armand Colin, Paris, 1949.
- *Dictionnaire de l'ancienne langue Française du IX au XV siècle*, 5 épisodes, Genève-Paris, 1982.
- Ginzburg, Carlo, *Le fromage et les vers. L'univers d'un meunier frioulan du XVI<sup>e</sup> siècle*, Paris, Aubier, 1976.
- Guha, Ranjit, *A Rule of Property for Bengal. An Essay on the Idea of Permanent Settlement*, Paris, Mouton, 1963.
- Guha, Ranjit, *Elementary Aspects of Peasant Insurgency in Colonial India*, Delhi, Oxford University Press, 1983.
- Helitas, Maurice, *Le vagabondage et les moyens pratiques d'y remédier*, Paris, 1898.
- Lemanski, Witold, *Tunis l'hiver*, Tunis 1911.
- Noiriel, Gérard, *Introduction à la socio-histoire*, La Découverte, Paris, 2006.
- Park, Robert et Burgess, Ernest, *Introduction to the science of sociology*, University of Chicago Press, 1921.
- Park, Robert, *Cultural Conflict and the Marginal Man in Everett V Stonequist, The Marginal Man, Park's Introduction*, New York, Charles Scribner's Sons, 1937.
- Park, Robert, *Human Communities: the City and Human Ecology*, Glencoe, Ill, The Free Press, 1952.
- Park, Robert, Mackenzie, Roderick, Burgess, Ernest, *The City: Suggestions for the Study of Human Nature in the Urban, Environment Chicago*, University of Chicago Press, 1925.

- Park, Robert, *The Immigrant Press and Its Control* New York: Harper & Brothers, 1922.
- Paul, Marie et Jabinet, Caire, *Introduction à l'historiographie*, Armand colin, 2013.
- Renoux, Léo, *L'Assistance des indigènes dans le contrôle civil de Kairouan*, Tunis, 1914.
- Sebag, Paul, *Un faubourg de Tunis , Saida-Manoubia*, Publications de la Faculté des Lettres de Tunis, Paris 1960.
- Sebag, Paul, *Un faubourg de Tunis , Saida-Manoubia*, publication de la Faculté des lettres de Tunis, Paris 1961.

المقالات باللغة الأجنبية:

- Bailly, Antoine, «La marginalité, une approche historique et épistémologique», *Anales de Geografia de la universidad complutense*, n°15, Madrid, 1995.
- Bardel, J.B et Klibi, S.CH, «Un faubourg clandestin de Tunis : Le Djebel Lahmar», *Cahiers de Tunisie*, n° 5, 1955.
- Berque, Jaques, «Médinas, villes neuves et bidonvilles», *Cahiers de Tunisie*, n°21-22, 1958.
- Castells, Manuel, «Théorie et idéologie en sociologie urbaine», *sociologie et sociétés*, n°1-2, sans date.
- Ginzburg, Carlo, et Poni, Carlo , «La micro-histoire», *Le Débat*, 1979.
- Guha, Ranjit, *Subaltern Studies III: Writings on Indian History and Society*. Delhi: Oxford University press, ed. 1984.
- *La Dépêche Sfaxienne*, n°5485, 14 décembre 1910.

- Liauzu, Claude, «Un aspect de la crise en Tunisie, la naissance des bidonville », *in Revue Française d'histoire d'outre-mer*, n°232-233, 1976.
- Park, Robert, «Human Migration and the Marginal Man», *in The Classic Essays on the Culture of Cities*, Ed. Richard Sennett, New York, Appleton-Century-Crofts, 1969.
- Pouchepadass, Jacques, «Les Subaltern Studies. Ou la critique postcoloniale de la modernité», *L'Homme*, n°156, 2000.
- Sebag, Paul, «Le bidonville de Borgel», *Cahiers de Tunisie*, n°23 - 24, 1958.
- Szabo, Denis, «Vie urbaine et criminalité», *Recherches sociographiques*, vol 9, n°1-2, 1968.
- Vincent, B, «Les marginaux et les exclus dans l'histoire», *in cahier Jussieu*, n°5, université de Paris VII, 1979.

## 7. هوامش:

- <sup>1</sup> Bailly, Antoine, «La marginalité, une approche historique et épistémologique», *Anales de Geografia de la universidad complutense*, n°15, Madrid, 1995, p 109 -110.
- <sup>2</sup> ابن منظور، *لسان العرب*، قدم له الشيخ عبد الله العاليلي، الجزء 6، بيروت 1988، ص 4700 - 4701.
- <sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 4696.
- <sup>4</sup> أبي الحسن أحمد بن فارس، بن زكريا، *معجم مقاييس اللغة*، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هاروت، الجزء 6، مكتبة الخانجي، القاهرة 1979، ص 64.
- <sup>5</sup> *Dictionnaire de l'ancienne langue Française du IX au XV siècle*, 5 épisodes, Genève-Paris, 1982, p 172.

<sup>6</sup> Helitas, Maurice, *Le vagabondage et les moyens pratiques d'y remédier*, Paris, 1898, p28.

<sup>7</sup> ابن منظور، لسان العرب، قدم له الشيخ عبد الله العلايلي، الجزء 2، بيروت 1988، ص 416.

<sup>8</sup> Guha, Ranjit, *Subaltern Studies III: Writings on Indian History and Society*. Delhi: Oxford University press, ed. 1984.

<sup>9</sup> ابن منظور، المصدر نفسه، ص 1460.

<sup>10</sup> عبد الستار، السحباني، التحولات الاجتماعية وإشكالية هوامش الفعل للمجتمع الموازي، أطروحة دكتوراه دولة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، السنة الجامعية 2003 - 2004، ص 154.

<sup>11</sup> Becker, Howard Saul, *Outsiders. Études de sociologie de la déviance*, Métailié, Paris, 1985, p 104.

<sup>12</sup> جان كلود، شميث، "تاريخ الهامشين"، التاريخ الجديد، ترجمة وتقديم محمد الطاهر المنصوري، مراجعة عبد الحميد هنية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2007، ص 467.

<sup>13</sup> إسحاق، ثروت، "أبعاد الهامشية: حالة مصر"، جدل، عدد 4، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، 1993، ص 112 - 141.

<sup>14</sup> Bloch, Marc, *Apologie pour l'histoire ou métier d'historien*, librairie Armand Colin, Paris, 1949.

<sup>15</sup> Noiriél, Gérard, *Introduction à la socio-histoire*, La Découverte, Paris, 2006, p6.

<sup>16</sup> العروي، عبد الله، مفهوم التاريخ، الألفاظ والمذاهب، المفاهيم والأصول، المركز الثقافي العربي، الطبعة الرابعة، الدار البيضاء، 2005، ص 258 - 259.

يعرف عبد الله العروي المونوغرافيا: هي خبر أو حدث في منظور المؤرخ ومكان أو وطن في منظور الجغرافي، فالمؤرخ ينطلق من الحادثة ليحدد وطنها... فهي وحدة منسجمة ومحددة في آن لا يفصل بعدها المكاني عن الزماني وعن المدلولي.

<sup>17</sup> Paul, Marie et Jabinet, Caire, *Introduction à l'historiographie*, Armand colin, 2013, p126.

<sup>18</sup> Guha, Ranjit, *A Rule of Property for Bengal. An Essay on the Idea of Permanent Settlement*, Paris, Mouton, 1963.

<sup>19</sup> Guha, Ranjit, *Elementary Aspects of Peasant Insurgency in Colonial India*, Delhi, Oxford University Press, 1983.

<sup>20</sup> Vincent, B, «Les marginaux et les exclus dans l'histoire», *in cahier Jussieu*, n°5, université de Paris VII, 1979, p 7.

<sup>21</sup> Pouchepadass, Jacques, «Les Subaltern Studies. Ou la critique postcoloniale de la modernité», *L'Homme*, n°156, 2000, p 162.

<sup>22</sup> Ginzburg, Carlo, *Le fromage et les vers. L'univers d'un meunier frioulan du XVI<sup>e</sup> siècle*, Paris, Aubier, 1976.

<sup>23</sup> Ginzburg, Carlo, et Poni, Carlo , «La micro-histoire», *Le Débat*, 1979.

<sup>24</sup> الهادي، التيمومي، المدارس التاريخية الحديثة، دار التنوير للنشر، بيروت، دار محمد علي الحامي للنشر، صفاقس، الطبعة الأولى، 2013، ص 229.

<sup>25</sup> المنجي، بن محمد، مظاهر الفساد الاجتماعي زمن الحماية الفرنسية، إدمان الخمر نموذجاً، بحث لنيل شهادة الدراسات المعمقة في التاريخ المعاصر تحت إشراف الأستاذ حسين رؤوف حمزة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، السنة الجامعية 2004 - 2005.

<sup>26</sup> بلقاسم، بن عبد النبي، "الكيف في البلاد التونسية قبل وأثناء الفترة الاستعمارية: دراسة تاريخية وأنتروبولوجية"، *مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية*، عدد 31، مركز جيل البحث العلمي، ماي 2017، ص 83 - 98.

<sup>27</sup> عبد الواحد، المكّي، "ملاحظات ووثائق حول النفي والمنافي والمنفيين في البلاد التونسية في القرن التاسع عشر"، *المجلة التاريخية المغاربية*، عدد 85 - 86، ماي 1997.

<sup>28</sup> بلقاسم، بن عبد النبي، "الدعارة في تونس قبيل وأثناء الفترة الاستعمارية 1830 - 1939 دراسة مقارنة مع الجزائر ومصر"، *دورية كان التاريخية*، عدد 47، مارس 2020، ص 151 - 162.



- <sup>29</sup> عبد العزيز، بن عبد النبي، التسول والمتسولون في الحواضر التونسية الكبرى زمن الاستعمار الفرنسي 1881 - 1956، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، 2020.
- <sup>30</sup> بلقاسم، بن عبد النبي، السرقة واللصوصية بالبلاد التونسية في الفترة الاستعمارية 1881 - 1956، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، فيفري 2016.
- <sup>31</sup> عينة من الكتابات التاريخية التونسية والعربية ضمن المقاربة المجهرية: مؤلف جماعي، المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، قرطاج، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، ماي 1999.
- جمال، بن طاهر، الفساد وردعه: الردع المالي وأشكال المقاومة والصراع بالبلاد التونسية 1705 - 1824، منشورات كلية الآداب منوبة، 1995.
- الكرابي، القسنطيني، الاحتياج والمحتاجون بتونس العاصمة في فترة الاستعمار الفرنسي 1885 - 1918، مركز النشر الجامعي، تونس 1999.
- العبد، غزالة، الفقر والفقراء في مدينة تونس في القرنين 8 - 9هـ / 14م - 15م من خلال نوازل البرزلي، مجمع الأطرش لنشر وتوزيع الكتاب المختص، تونس، 2021.
- زينب، الماجري، الهامشيون بمدينة تونس 1930 - 1956، شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، جوان 2010.
- عبد الجليل، التميمي، "وثيقتان حول فئة المهمشين من النساء و الأطفال والفقراء والمصابين الأندلسيين في منتصف القرن 19"، المجلة التاريخية المغاربية، عدد 87 / 88، 1997.
- حسين، بوجرة، "الظاهرة الخمرية وتطورها بالبلاد التونسية في العهد التركي"، الكراسات التونسية، عدد 41 - 42، 1990، ص 26 - 114.
- عبد العزيز، بن عبد النبي، "سياسة الاستعمار الفرنسي تجاه ظاهرة التسول والفئات المتسولة في المدن التونسية"، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد 33، مركز جيل البحث العلمي، جويلية 2017.
- عبد العزيز، بن عبد النبي، "دراسة حول الملامح الفكرية والذهنية للفئات المتسولة في المدن التونسية زمن الاستعمار الفرنسي"، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 4، المركز الديمقراطي العربي ألمانيا- برلين، جوان 2018.

- عبد الأحد، السبتي، بين الزطاط وقاطع الطريق - أمن الطرق في مغرب ما قبل الاستعمار، دار توبقال للنشر، 2009.
- ابتسام، علام، الجماعات الهامشية: دراسة أنثروبولوجية لجماعات المتسولين بمدينة القاهرة، القاهرة، 2002.
- أنطوان، حداد، الفقر في لبنان، الأسكوا، بيروت، 1996.
- فؤاد، عزوز، المهمشون في تاريخ الجزائر الاجتماعي، اللصوص وقطاع الطرق أمودجا 1830 - 1918، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية سطيف 2، الجزائر، السنة الجامعية 2020 - 2021.
- مؤلف جماعي، هامشيون في المدن العربية، جلد ، عدد 4، دمشق، دار كنعان للدراسات والنشر، 1993.
- إبراهيم، محمود، "حركية حثالة البروليتاريا في العالم الثالث"، النهج، عدد 32، 1990.
- ساري، حنفي، جاد، شعبان، كارين، سيفيرت، "الإقصاء الاجتماعي للاجئين الفلسطينيين في لبنان: تأملات في الآليات التي تعزز فقرهم الدائم"، مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد 91، 2012.
- Bouhdiba, Abdelwaheb, *Criminalités et changements sociaux en Tunisie*, Tunis, CERES, 1965.
- Colloque, *Les déterminismes socioculturels de la pauvreté en Tunisie*, Tunis, CERES, 1994.
- Colloque, *Etre marginal au Magreb*, Paris, CNRS, 1993.
- Larguèche, Dalenda et Larguèche, Abdelhamid, *Marginales en terre d'Islam*, Cérès, Tunis, 1992.
- Larguèche, Abdelhamid, *les ombres de la ville: pauvres, marginaux et minoritaire (XVIII ème et XIX ème siècle)*, centre de publication universitaire, 2002.

Henia, Abdelhamid, «Prisons et prisonniers à Tunis vers 1762: système répressif et inégalité sociales», *Revue d'Histoire magrébine*, n°31-32, 1983, pp 223 - 252.

Snoussi, ML, «La prostitution en Tunisie au temps de la colonisation», *in la Tunisie mosaïque*, Toulouse, 2000, pp 389 - 413.

Balafrej, Amina et Ayad, Mohamed, *Pauvreté et facteurs d'exclusion sociale, rapport thématique*, Maroc, 2005.

Taraud, C, *La prostitution coloniale, Algérie, Tunisie, Maroc (1830 - 1862)*, Paris, 2003.

Mathieu, Jean et Maury, P, *La prostitution marocaine surveillée de Casablanca. Le quartier réservé*, éditions Paris-Méditerranée, 2003.

Cheikh, Meriem, «Des marges aux centres: la gestion des transgressions féminines au Maroc», *Question de recherche au Maghreb*, n°7, juin, 2009.

Emmanuelle, Cayado, «La lutte contre l'exclusion des femmes au Maroc et en France», *Colloque Rabat, Société*, Rabat, 2002.

Bissiliat, J, «Pauvreté, exclusion et citoyenneté», *in Femmes du Sud, chefs de famille*, Karthala, Paris, 1996, pp. 373 - 385.

Makhlouf, H, *Culture et trafic de drogue au Liban*, Paris, L'Harmattan, 1994.

<sup>32</sup> وجيه، كوثراني، تاريخ التأريخ، اتجاهات - مدارس - مناهج، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الثانية، بيروت، 2013، ص 139 - 396.

<sup>33</sup> ابن منظور، نفس المصدر، ج2، ص 907.

<sup>34</sup> عبد الرحمان، ابن خلدون، المقدمة، بيروت، 1992.

<sup>35</sup> Szabo, Denis, «Vie urbaine et criminalité», *Recherches sociographiques*, vol 9, n°1-2, 1968, p 68.

<sup>36</sup> عينة من كتابات Robert Park:

Park, Robert et Burgess, Ernest, *Introduction to the science of sociology*, University of Chicago Press, 1921.

Park, Robert, *The Immigrant Press and Its Control* New York: Harper & Brothers, 1922.

Park, Robert, Mackenzie, Roderick, Burgess, Ernest, *The City: Suggestions for the Study of Human Nature in the Urban Environment Chicago*, University of Chicago Press, 1925.

Park, Robert, *Cultural Conflict and the Marginal Man in Everett V Stonequist, The Marginal Man, Park's Introduction*, New York, Charles Scribner's Sons, 1937.

Park, Robert, *Human Communities: the City and Human Ecology*, Glencoe, Ill, The Free Press, 1952.

Park, Robert, «Human Migration and the Marginal Man», in *The Classic Essays on the Culture of Cities*, Ed. Richard Sennett, New York, Appleton-Century-Crofts, 1969, p 131-142.

<sup>37</sup> Sebag, Paul, *Un faubourg de Tunis , Saida-Manoubia*, Publications de la Faculté des Lettres de Tunis, Paris 1960, p 16.

<sup>38</sup> Berque, Jaques, «Médinas, villes neuves et bidonvilles», *Cahiers de Tunisie*, n°21-22, 1958, p 254 -255.

<sup>39</sup> Lemanski, Witold, *Tunis l'hiver*, Tunis 1911.

<sup>40</sup> *La Dépêche Sfaxienne*, n°5485, 14 décembre 1910.

<sup>41</sup> Liauzu, Claude, «Un aspect de la crise en Tunisie, la naissance des bidonville »,in *Revue Française d'histoire d'outre-mer*, n°232-233, 1976, p 608.

<sup>42</sup> Sebag, Paul, *Un faubourg de Tunis , Saida-Manoubia*, publication de la Faculté des lettres de Tunis, Paris 1961, p 8.

<sup>43</sup> Sebag, Paul, «Le bidonville de Borgel», *Cahiers de Tunisie*, n°23-24, 1958.

<sup>44</sup> Bardel, J.B et Klibi, S.CH, «Un faubourg clandestin de Tunis : Le Djebel Lahmar», *Cahiers de Tunisie*, n° 5,1955.

<sup>45</sup> Renoux, Léo, *L'Assistance des indigènes dans le contrôle civil de Kairouan*, Tunis, 1914, p 21.